

## عملية «أوبرا» تفضح تاريخ التعاون بين إيران وإسرائيل

تل أبيب وطهران.. عدو ودود أفضل من صديق لدود



إيران حليفة الأوس أصبحت أخطر دولة في المنطقة

العراقية الرامية إلى الحصول على الأسلحة النووية لعقد كامل، يزعم بعض الخبراء أن المفاعل لم يكن مناسباً لمثل هذه الأغراض. وفي أعقاب الغارة، بدأ صدام حسين برنامجاً نووياً واسع النطاق يسعى إلى إنتاج الأسلحة في المبنى المحصنة تحت الأرض. ولو لم يتحول تركيزه إلى المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة عند غزو الكويت في العام 1990، لنجح صدام حسين في حشد قوة أكبر في مجال الأسلحة النووية على المدى الطويل.

وتسببت الهزيمة التي تكبدها نظام صدام حسين في العام 1991، بالإضافة إلى انهيار الاتحاد السوفياتي، في إنهاء التحالف السري بين إسرائيل وإيران، إذ اعتمدت طهران على دعمها للجماعات المعادية لإسرائيل لكسب النفوذ والتحالفات في العالم العربي، في حين أدركت إسرائيل أن إيران هي الأكثر عدائية في المنطقة.

**إيران وإسرائيل كانتا حليفين قبل الثورة الإيرانية، وواصلت تل أبيب نقل الأسلحة وغيرها من المساعدات الأمنية إلى طهران خلال ثمانينات القرن الماضي، على الرغم من خطاب المرشد الأعلى المعادي لإسرائيل، وكان هذا مدفوعاً بالخوف التي جمعت بين الطرفين من عراق يحكمه صدام حسين**

وتكمن المفارقة هنا؛ فبعد أن كانت إيران حليفة إسرائيل في الهجمة الاستباقية التي استهدفت محطات الأبحاث النووية التابعة لدولة أخرى، أصبح برنامج إيران النووي الشامل مهتداً اليوم بهجمات جوية وقائية من إسرائيل والولايات المتحدة. ومع ذلك، تعلمت إيران من ضربات أوزيراك، ونشرت برنامج أبحاثها النووية بين العديد من المنشآت الموجودة تحت الأرض، بدلاً من جمعها في مبنى مكشوف معرض للهجوم في أي وقت.

المفاعل، وأدى الهجوم إلى اندلاع حريق هائل ما لحق أضراراً بالانابيب ومضخات التبريد ومنشآت المختبرات، وانسحب المئات من الفنيين الفرنسيين والإيطاليين من المنشأة بعد الغارة، رغم أن بعضهم عاد لاحقاً. ومع ذلك، أشار تقرير استخباراتي أدته وكالة المخابرات المركزية الأميركية بحسب مصدر بقت هويته سرية، إلى أن القصف لم يطل سوى المبنى الثانوي.

وانتشرت رواية في الغرب، وإن كانت خاطئة، تدعي أن طيارين إسرائيليين قادوا الطائرات الإيرانية في الغارة.

في 30 نوفمبر، عادت طائرة استطلاع إيرانية من طراز "أر أف 4 فانتوم" إلى المبنى بسرعة تتجاوز سرعة الصوت، والتقطت صوراً لتقييم أضرار الضربة. ووفقاً لكبير وبشوب، نقلت الصور الاستخباراتية بعد ذلك في صندوق معدني إلى إسرائيل عبر طائرة بوينغ 707 كانت تستخدم لتسليم أسلحة إسرائيلية إلى طهران.

ساعدت هذه الصور الاستخباراتية الجيش الإسرائيلي على تصميم نسخة طبق الأصل للمبنى بغرض التخطيط لهماجمته والتمرن على العملية. ونفذ الجيش خطته النهائية في 7 يونيو 1981، بعد أن انطلقت 8 طائرات إسرائيلية من طراز "أف 16 فايتنغ فالكون"، مع 6 طائرات من طراز "أف 15 إيغل" عبر الأجواء السعودية، مستغلة فجوة في تغطية الرادار العراقي. وفي أقل من دقيقة، دمرت مقاتلات إيغل مفاعل أوزيراك بقنابل "مارك 84" الضخمة التي تزن 2000 رطل، ما أسفر عن مقتل تسعة عراقيين ومهندس فرنسي.

ووجه صدام حسين تركيزه إلى محطة بوشهر الكهروزرية للأبحاث النووية الإيرانية، لعدم رغبته في الانتقام من إسرائيل مباشرة. وتقتصم الطائرات الفاتحة العراقية، بين عامي 1984 و1987، المجمع الإيراني خمس مرات ما لحق أضراراً كبيرة بالمنشأة التي لم تكن تستخدم كثيراً بسبب القيود المالية التي فرضتها الحرب.

وتعد غارة أوزيراك من الأحداث التي يستشهد بها في الحجج المؤيدة للضربات الاستباقية المناهضة للأسلحة النووية. ويبدو نجاح الغارة واضحاً، لكن، ورغم تعطيل الجهود

وسعيًا لإحياء البرنامج، قصف عملاء إسرائيليون قلب مفاعل نووي اكتمل بناؤه بالقرب من مدينة تولون جنوب فرنسا، في حين طعن عملاء فرنسيون عالم الفيزياء والذرة المصري بجسي المشد حتى الموت في فندق بباريس في 14 يونيو من العام 1980. ونجحت تلك الإجراءات في تأخير بناء مفاعل أوزيراك النووي بمنشأة مكشوفة، إلا أن الأعمال استؤنفت لاحقاً.

وفي 22 سبتمبر 1980، شن صدام حسين غزواً واسع النطاق جنوب غرب إيران على أمل الاستفادة من الفوضى السائدة في الجمهورية المولودة من رحم الثورة.

في هذا السياق، بدأت القوات الجوية الإيرانية بالتخطيط لشن هجوم على مفاعل أوزيراك في يونيو، ويقال إنها قررت ذلك بناء على طلب رئيس المخابرات الإسرائيلية العسكرية. حينها، كانت إسرائيل واحدة من الدول القليلة التي واصلت تزويد إيران بالأسلحة والمعلومات الاستخباراتية اللازمة لمحاربة العراقيين، مما جعل الغارة تحمل منافع للطرفين.

أثبت الأسطول الإيراني الكبير الذي شمل المقاتلات الأميركية "أف 4" و"أف 14" فعاليته ضد القوات العراقية خلال السنوات الأولى من الحرب العراقية الإيرانية. وانطلقت طائرات الفانتوم التي نشرتها إيران في الغارة من سرب المقاتلات الثالث والثلاثين المتمركز بالقرب من مدينة همدان الإيرانية.

واستغلت هذه الطائرات غفوة أفراد قوات الدفاع العراقي، وأسقطت قنابلها على محطة طاقة عراقية، مما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي في بغداد لمدة يومين حسبما ذكره كوبر. وخلال تلك الفوضى، أطلقت جميع القنابل الانفتي عشرة في النوية في فوان معدودات، ولا توجد تقارير تدل على أي رد دفاعي من العراق.

وذكر بعض الشهود أنهم راوا قنبلتين إيرانيين ترتدان عن قبة

الأعلى المعادي لإسرائيل. وكان هذا مدفوعاً بالخوف التي جمعت بين الطرفين من عراق يحكمه صدام حسين. وفي العام 1975، نجح العراق في التفاوض على صفقة بقيمة 300 مليون دولار (ما يعادل 1.3 مليار دولار في 2019) مع فرنسا لبناء المفاعل العراقي. وكان الاتفاق بين صدام حسين وجاك شيراك عندما كان رئيساً للحكومة الفرنسية. وتضمن هذا المشروع بناء مفاعلين باسم تموز 1 وتموز 2 في منشأة النوية للأبحاث النووية جنوب بغداد. تم تصميم مفاعل أوزيريس لأغراض مدنية، ولكن البعض من الأطراف رأى فيه تهديداً وخشى أن يتحول إلى انطلاقة برنامج للأسلحة النووية.

الميجر جنرال المتقاعد دافيد عيفري، قائد سلاح الجو الإسرائيلي آنذاك، في مقابلة تلفزيونية، "على الفور قلت نعم، من دون أن أسأل أحداً.. عندما يعرض عليك أحدهم أفضل طائرات مقاتلة، فأول شيء تفعله هو قول نعم.. وبعد ذلك سوف ترى".

وقال الكولونيل المتقاعد زئيف راز، الذي قاد الغارة في 7 يونيو 1981، "حقيقة حصولنا على الطائرات بسبب الثورة الإيرانية هي إحدى أكبر المفارقات في التاريخ".

واكتشفت إسرائيل لأول مرة أن العراق يعمل على بناء مفاعل بلوتونيوم يمكن استخدامه لصناعة أسلحة نووية في العام 1977، حينها لم تكن الطائرات المقاتلة التي تملكها -وهي من طراز "أف 4 فانتوم" و"سكاى هوك"- قادرة على السفر لأكثر من 1000 ميل داخل أراضي العراق والعودة بسلام.

ولم يكن هذا هو الحال في العراق والعودة بسلام. ولهذه الأسباب كانت الصفقة الأميركية لشراء طائرات "أف 16" فرصة ذهبية بالنسبة

لتنفيذ أهدافها. لكن لم يكن واضحاً تماماً ما إذا كانت هذه الطائرات الجديدة ستتمكن من الوصول إلى العراق وتنفيذ المهمة بنجاح بسبب سعة الوقود فيها، لذلك وضع سلاح الجو حلولاً بديلة من أجل مضاعفة فرص النجاح. وقيل تسعة أشهر من تنفيذ عملية "أوبرا" العسكرية الإسرائيلية التي دمرت مفاعل أوزيراك النووي العراقي، وفي فجر 30 سبتمبر 1980، حلقت 4 طائرات من طراز أف-4 إي فانتوم أميركية الصنع على ارتفاع منخفض في سماء العراق، وكانت كل واحدة منها محملة بقذائف جو، وثلاثة آلاف رطل من القنابل.

وثنى الكاتبان توم كوبر وفرزاد بيشوب هذه الغارة الغامضة والسياسي الذي حدثت فيه في مقالة نشرتها مجلة "إير إنفورميشن" في العام 2004.

كانت إيران وإسرائيل حليفين قبل الثورة الإيرانية، وواصلت تل أبيب نقل الأسلحة وغيرها من المساعدات الأمنية إلى طهران خلال ثمانينات القرن الماضي، على الرغم من خطاب المرشد

الميجر جنرال المتقاعد دافيد عيفري، قائد سلاح الجو الإسرائيلي آنذاك، في مقابلة تلفزيونية، "على الفور قلت نعم، من دون أن أسأل أحداً.. عندما يعرض عليك أحدهم أفضل طائرات مقاتلة، فأول شيء تفعله هو قول نعم.. وبعد ذلك سوف ترى".

وقال الكولونيل المتقاعد زئيف راز، الذي قاد الغارة في 7 يونيو 1981، "حقيقة حصولنا على الطائرات بسبب الثورة الإيرانية هي إحدى أكبر المفارقات في التاريخ".

واكتشفت إسرائيل لأول مرة أن العراق يعمل على بناء مفاعل بلوتونيوم يمكن استخدامه لصناعة أسلحة نووية في العام 1977، حينها لم تكن الطائرات المقاتلة التي تملكها -وهي من طراز "أف 4 فانتوم" و"سكاى هوك"- قادرة على السفر لأكثر من 1000 ميل داخل أراضي العراق والعودة بسلام.

ولم يكن هذا هو الحال في العراق والعودة بسلام. ولهذه الأسباب كانت الصفقة الأميركية لشراء طائرات "أف 16" فرصة ذهبية بالنسبة

لتنفيذ أهدافها. لكن لم يكن واضحاً تماماً ما إذا كانت هذه الطائرات الجديدة ستتمكن من الوصول إلى العراق وتنفيذ المهمة بنجاح بسبب سعة الوقود فيها، لذلك وضع سلاح الجو حلولاً بديلة من أجل مضاعفة فرص النجاح. وقيل تسعة أشهر من تنفيذ عملية "أوبرا" العسكرية الإسرائيلية التي دمرت مفاعل أوزيراك النووي العراقي، وفي فجر 30 سبتمبر 1980، حلقت 4 طائرات من طراز أف-4 إي فانتوم أميركية الصنع على ارتفاع منخفض في سماء العراق، وكانت كل واحدة منها محملة بقذائف جو، وثلاثة آلاف رطل من القنابل.

وثنى الكاتبان توم كوبر وفرزاد بيشوب هذه الغارة الغامضة والسياسي الذي حدثت فيه في مقالة نشرتها مجلة "إير إنفورميشن" في العام 2004.

كانت إيران وإسرائيل حليفين قبل الثورة الإيرانية، وواصلت تل أبيب نقل الأسلحة وغيرها من المساعدات الأمنية إلى طهران خلال ثمانينات القرن الماضي، على الرغم من خطاب المرشد

الميجر جنرال المتقاعد دافيد عيفري، قائد سلاح الجو الإسرائيلي آنذاك، في مقابلة تلفزيونية، "على الفور قلت نعم، من دون أن أسأل أحداً.. عندما يعرض عليك أحدهم أفضل طائرات مقاتلة، فأول شيء تفعله هو قول نعم.. وبعد ذلك سوف ترى".

وقال الكولونيل المتقاعد زئيف راز، الذي قاد الغارة في 7 يونيو 1981، "حقيقة حصولنا على الطائرات بسبب الثورة الإيرانية هي إحدى أكبر المفارقات في التاريخ".

واكتشفت إسرائيل لأول مرة أن العراق يعمل على بناء مفاعل بلوتونيوم يمكن استخدامه لصناعة أسلحة نووية في العام 1977، حينها لم تكن الطائرات المقاتلة التي تملكها -وهي من طراز "أف 4 فانتوم" و"سكاى هوك"- قادرة على السفر لأكثر من 1000 ميل داخل أراضي العراق والعودة بسلام.

يكشف البحث والتحليل والتدقيق في تفاصيل أحد أهم الأحداث في تاريخ العراق، والذي كان مفصلياً في تشكيل موازين القوى بمنطقة الشرق الأوسط، عن الكثير من أسرار التعاون والتآمر المشترك بين إسرائيل وإيران. ويبدو البلدان حالياً طرفين في حرب مستعرة إعلامياً، لكن الحقيقة عكس ذلك، بل تتضمن الكثير من المفارقات، فمصالح البلدين التي تقاربت في بداية ثمانينات القرن الماضي والتي جسدها هدفهما المشترك وهو ضرورة تدمير برنامج الأسلحة النووية للعراق، جعلهما ينسقان معاً ويتعاونان لتنفيذ الهجوم الجوي على مفاعل تموز العراقي، فظاهرياً سلاح الجو الإسرائيلي هو الذي نفذ الهجوم، لكن إيران لعبت دوراً محورياً في العملية من خلال تقديم الدعم العسكري لإسرائيل، ما جعل الرئيس العراقي الراحل صدام حسين يرد على تلك العملية بتنفيذ هجوم على محطة بوشهر الكهروزرية للأبحاث النووية الإيرانية، بدلاً من استهداف إسرائيل مباشرة.

لندن - تعد إيران في نظر أغلب الزعماء الأمنيين الإسرائيليين "عدواً ودوداً وهي أفضل من صديق لدود" لأنه على مر التاريخ المعاصر لم تطلق إسرائيل رصاصة واحدة على إيران غير حربها الكلامية، وبالمثل فعلت إيران التي لم تتجاوز حدود الشعارات في "حربها" ضد إسرائيل.

وخلف هذا العداء "الصوتي" بين إيران وإسرائيل يخبئ تاريخ من التعاون والتآمر المشترك، إذ تجسد هذا التعاون في أبرز صورته في عملية "أوبرا" العسكرية حين أطلق الطيران الحربي الإسرائيلي ضربة جوية مفاجئة استهدفت مفاعل تموز النووي العراقي في العام 1981.

لقد عاد الصحافي المتخصص في شؤون الدفاع، سيباستيان رولين، في تحليل نشرته مجلة "ناشيونال إنترست"، إلى تقارب المصالح والتحالف بين إيران وإسرائيل وطبيعة المفارقات التي تتسم بها علاقتهم.

يقول رولين؛ من الأسرار الخفية لعملية "أوبرا" أن إسرائيل ما كانت لتنجح لولا مساندة إيران وتعاونها معها.

وتتم تنظيم نظاهرة لإحياء ذكرى الهجوم بعد 38 عاماً من حدوثه، وهي العملية الذي ينظر إليها البعض على أنها "المهمة التي أعادت صنع الشرق الأوسط"، وشارك فيها الطيارون المنفذون لـ"عملية أوبرا" والذين لا يزالون على قيد الحياة. وأعاد الطيارون تمثيل الهجوم على أجهزة محاكاة للطيران.

قال هؤلاء إن "إحدى أكبر المفارقات في التاريخ هي أن الجمهورية الإسلامية في إيران ساعدت على تنفيذ هذا الهجوم". وكانت واشنطن تستعد لعقد صفقة كبيرة مع طهران لتزويدها بنحو 75 طائرة مقاتلة متطورة من طراز "أف-16"، لكن الإطاحة بشاه إيران محمد رضا بهلوي -الذي كان حليفاً قوياً للولايات المتحدة- إثر اندلاع الثورة الإسلامية التي قادها آية الله الخميني، جعل الولايات المتحدة تضطر إلى إلغاء الصفقة مع إيران وعرضها على إسرائيل التي قبلت بها دون تردد. وقال

الميجر جنرال المتقاعد دافيد عيفري، قائد سلاح الجو الإسرائيلي آنذاك، في مقابلة تلفزيونية، "على الفور قلت نعم، من دون أن أسأل أحداً.. عندما يعرض عليك أحدهم أفضل طائرات مقاتلة، فأول شيء تفعله هو قول نعم.. وبعد ذلك سوف ترى".

وقال الكولونيل المتقاعد زئيف راز، الذي قاد الغارة في 7 يونيو 1981، "حقيقة حصولنا على الطائرات بسبب الثورة الإيرانية هي إحدى أكبر المفارقات في التاريخ".

واكتشفت إسرائيل لأول مرة أن العراق يعمل على بناء مفاعل بلوتونيوم يمكن استخدامه لصناعة أسلحة نووية في العام 1977، حينها لم تكن الطائرات المقاتلة التي تملكها -وهي من طراز "أف 4 فانتوم" و"سكاى هوك"- قادرة على السفر لأكثر من 1000 ميل داخل أراضي العراق والعودة بسلام.

ولم يكن هذا هو الحال في العراق والعودة بسلام. ولهذه الأسباب كانت الصفقة الأميركية لشراء طائرات "أف 16" فرصة ذهبية بالنسبة